إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طٰهٰ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً
لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ
فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ
ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا
فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ
أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ
أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

[٩٦] ثم ذكر جل وعلا نعمة من نعمه علىٰ عباده الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسوله ﷺ، وعملوا الأعمال الصالحة المشروعة، أنه سيجعل لهم محبّة ومودة في قلوب عباده.

[٩٧] ثم أضاف سبحانه نعمة كبرىٰ علىٰ نبيه محمد ﷺ، وهي أنه جعل هذا القرآن سهلًا يسيرًا عليه وعلىٰ أمته؛ حيث جعله بلسانه، أي: باللغة العربية؛ وهذا التيسير الذي جعله الله لهذا القرآن لكي تبشر به عباد الله الذين اتقوا ربهم بعمل الطاعات وترك المنهيات، وتخوِّف به الكفار المكذبين ذوي الخصومة الشديدة بالباطل، حتىٰ تقوم عليهم المحجة، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة.

[٩٨] ثم ختم جل وعلا السورة ببيان أنه أهلك أممًا كثيرة طغت وتجبرت وحاربت الدعوة قبل أمتك يانبي الله؛ فهل تشعر بأحد منهم أو تراه؟ أو تسمع له حتىٰ ولو صوتًا خفيفًا؟!.

سورة طه

سورة طه مكيّة وآياتها خمس وثلاثون ومائة آية.

[١] قوله: ﴿طه﴾، قيل: اسم للسورة، وقيل: هو أحد أسماء النبي ﷺ، ويؤيد قولهم إسناد الخطاب إليه؛ حيث قال في الآية التي بعدها: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾، فالكاف في قوله: ﴿عَلَيْكَ﴾، للمخاطب به وهو: طه، والجمهور علىٰ خلاف هذا القول، ويرون أنها مثل الحروف المقطعة في أوائل السور.

[٢-٣-٤] أخبر جل وعلا في بداية هذه السورة نبيه ﷺ أنه ما أنزل عليه القرآن للإفراط في إرهاق نفسه وإتعابها، وإنما المطلوب منه ﷺ هو البلاغ والدعوة؛ وكذلك القصد في العبادة والتهجد. ثم بين سبحانه أنه أنزل هذا القرآن تذكرة وموعظة لمن يطلب رضا الله ويخشىٰ عقابه. وأخبر أيضًا أن هذا القرآن تنزيل من العلي العظيم الذي خلق الأرض والسماوات العلىٰ.

[٥] ثم أخبر جل وعلا عن عظمته وكبريائه بأنه ارتفع وعلا، واستوىٰ استواءً يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل.

ومعظم الفرق الإسلامية تأوِّل قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، فتقول: (استولىٰ)؛ ما عدا أهل السنة والجماعة؛ فيقولون: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، أي: علا وارتفع واستوىٰ استواءً يليق بجلاله وعظمته، وهو استواء له كيفية ولكن لا نعرفها كما أننا لا نعرف كيفية ذاته سبحانه، وهذه الكيفية لم يُطلع الله عليها أحدًا من البشر، وقد روي عن أحمد ومالك أنهما قالا: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والبحث عنها بدعة). قلت هذا لأن هناك فرقًا من المسلمين يقولون: لا كيفية له، أي: أنهم يعبدون عدمًا. **ثم يقال للذين يقولون:** (استوىٰ)، أي: (استولىٰ): أليس الله كان مستوليًا علىٰ العرش وغيره قبل خلق السماوات والأرض لمّا كان عرشة علىٰ الماء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود:٧]؟!.

[٦] ثم بين سبحانه أن هذا الرحمن وهو الله له ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وما تحت الأرض والتراب.

[٧] ثم أخبر جل وعلا نبيه ﷺ أنه سواء جهر بالكلام أو أخفاه؛ فإن الله يعلم ذلك، لأنه يعلم السر وهو الكلام الخفي الذي يُسِرُّ الرجل به لصاحبه، ويعلم ما هو أخفىٰ من السر، وهو ما يحدِّث الإنسان به نفسه، أو ما يخطر علىٰ باله.

[٨] واعلموا أيها الناس أن هذا الرب العظيم هو المعبود بحق، فلا معبود بحق إلّا هو، وأن له سبحانه الأسماء الحسنَةَ التي تدلُّ علىٰ كمال الحمد والمدح له، وتدل علىٰ أكمل الصفات وأعظمها وأجَلِّها.

[٩-١٠-١١-١٢] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ: هل أتاك يانبي الله خبر موسىٰ بن عمران الذي قدم من مدين إلىٰ مصر؛ حيث رأىٰ نارًا مشتعلة فقال لأهله: ابقوا في مكانكم لقد رأيت نارًا لعلي أحضر لكم منها شعلة تستدفئون بها؛ أو أجد عندها من يدلني علىٰ الطريق؛ لأنه اشتبه عليه طريق العودة لمصر، وهذه النار التي رآها موسىٰ هي في الحقيقة نورٌ خَلَقَهُ الله فظن أنه صادر من نار مشتعلة؛ فَذَهَبَ إليه ليجلب الدفء إلىٰ أهله؛ فجلب لهم ولقومه الدفء الأهم والأعظم وهو الإيمان والإسلام بعد أن شرّفه الله وأكرمه بكلامه واصطفائه. فلمّا وصل موسىٰ إلىٰ هذا النور ناداه الله. فقال له: ياموسىٰ إني أنا ربك أُكلِّمُك؛ فاخلع نعليك، وتهيأ لمناجاتي، واعلم أنك بوادٍ مُطَهَّر، وهو وادي طوىٰ – بأرض سيناء –.

[١٣-١٤] واعلم ياموسىٰ أنني اخترتك واصطفيتك من بين الناس للرسالة والنبوة؛ فاستمع لِمَا أوحيه إليك. إنني أنا الله لا معبود بحقٍّ إلّا أنا؛ فاعبدني وحدي؛ بأن تصرف لي جميع ما أحبه وأرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، اللازمة والمُتَعدِّية، ثم خصَّ الصلاة بالذكر مع دخولها تحت مسمىٰ العبادة، وذلك لفضلها وشرفها، فأقِم ياموسىٰ هذه الصلاة لأجل أن تذكرني فيها.

[١٥-١٦] ثم اعلم ياموسىٰ أن الساعة آتيةٌ واقعةٌ لا شكّ في ذلك، وقد أخفيت علمها عن الخلائق كلهم، وبالغتُ في إخفائها؛ والحكمة من قيامها: محاسبة ومجازاة كل نفس بما قدمت؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ. فلا يُشغلنَّك ولا يلهينَّك عن الإيمان بها، والاستعداد والتزوّد لها مَنْ لا يصدِّق بها، ومن يُشكِّكُ فيها، ولا يُشغلنَّك عنها أيضًا من تنكَّب عن الحق واتَّبع هواه؛ فتشقىٰ بذلك، وتهلك في مهاوي الردىٰ.

[١٧-١٨] ثم سأل جل وعلا موسىٰ: ما هذه التي في يدك اليُمْنَىٰ؟! مع علمه سبحانه وإنما سأله عنها لتنبيهه؛ حيث إن المعجزة ستقع بها أولًا. فأجاب موسىٰ قائلًا: هي عصاي، أعتمد عليها في قيامي ومشيي، وأضرب بها أوراق الشجر لتأكل غنمي، ولي فيها مقاصد وحاجات أخرىٰ.

[١٩-٢٠-٢١] فقال جل وعلا: ألقِ هذه العصا ياموسىٰ. فاستجاب مباشرةً فألقاها؛ فإذا بها تنقلب بإذن الله إلىٰ حيَّةٍ عظيمة تمشي. فخاف منها فولَّىٰ هاربًا، فقال سبحانه وتعالىٰ مُطَمْئِنًا له: خذها ياموسىٰ ولا تخف فليس عليك منها بأس، ولن تضرّك، فإنك إذا مددت يدك لتأخذها سنعيدها لحالتها وصفتها الأولىٰ، أي: سنعيدها إلىٰ عصا كما كانت.

[٢٢-٢٣] ثم قال جل وعلا: واضمم ياموسىٰ يدك تحت عضد يدك الأخرىٰ بأن تجعلها تحت الإبط، ثم أخرجها فسوف تخرج بيضاء ساطعة مشرقة من غير عيب ولا برص، وهذه معجزة أخرىٰ تدل علىٰ صدق نبوتك ورسالتك. واعلم ياموسىٰ أننا أعطيناك هاتين المعجزتين العظيمتين لأجل أن نريك بعضًا من معجزاتنا الكبرىٰ الدالة علىٰ عظيم قدرتنا وصحة رسالتك فيطمئن قلبك، ولتكون حجة وبرهانًا لمن أرسلت إليهم.

[٢٤] وبعد أن أكرم الله موسىٰ وأعطاه البُرهانَيْنِ المُثْبِتَيْنِ لنبوته ورسالته المعجزة: العصا واليد؛ كلفه بالذهاب إلىٰ الطاغية فرعون، وأمره بأن يتلطف في دعوته لعله يتذكر عظمة الخالق فلا تأخذه العزة بالإثم فيسيء إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه:٤٢ - ٤٤]؛ فامتثل موسىٰ أمر ربه.

[٢٥-٢٦-٢٧-٢٨] ولمّا علم موسىٰ أنه سيقابل الطاغية فرعون الذي قتل المئات من بني إسرائيل، عرف أنه في أشد الحاجة إلىٰ مدد الله ورعايته وإعانته وتيسير أمْرِه؛ فلذلك طلب من ربه أن

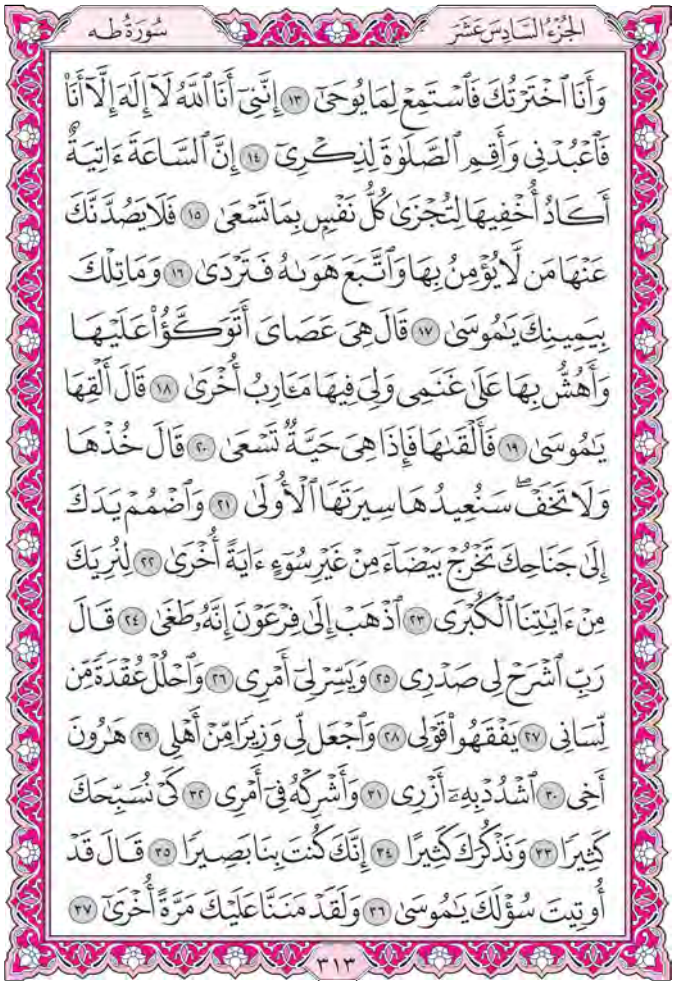

يشرح صدره، وأن ييسر أمره، وأن يفك العقدة التي في لسانه لكي يفقهوا كلامه. والعقدة التي في لسانه هي التي تسمىٰ اللثغة، وهي من آثار الجمرة التي أنقذته من فرعون لمّا كان طفلًا، والتي بقي لها أثر علىٰ لسانه، والدليل قول فرعون نفسه: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف:٥٢].

[٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥] ثم طلب موسىٰ عليه السلام تكليف أخيه هارون بالرسالة لمساعدته وتوضيح دعوته، فقال: واجعل لي يارب مُساعِدًا ومُعينًا لي في أموري. وهو أخي هارون. أتقوَّىٰ به، ويكون عوْنًا لي في دعوتي. واجعله يارب شريكًا لي في النبوة والرسالة. وذلك من أجل أن نتعاون علىٰ توحيدك وبِرِّكَ وتقواك وتنزيهك. ومن أجل أن نذكرك كثيرًا. إنك يارب كنتَ بنا بصيرًا، تعلم حالنا وضعفنا، ولا يخفىٰ عليك شيء من أمرنا، وأنت تعلم يارب أن هارون أخي أفصح مني لسانًا فيكون معينًا لي علىٰ إيضاح الرسالة؛ فاستجب يارب دعاءنا، وأعطنا يا إلهي سُؤْلَنا.

[٣٦] فقال جل وعلا: لقد أجبتك وأعطيتك ياموسىٰ كلَّ ما طلبته مني، وسألتني إياه.

[٣٧] ثم قال له: ولقد أنعمنا عليك ياموسىٰ قبل ذلك؛ بأنْ أنجيناك حين ولادتك من بطش فرعون وتجبره.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا
تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا
لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ
عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

[٣٨-٣٩] ثم ذكَّر جل وعلا موسىٰ بنعمته عليه منذ الطفولة، حيث رتّب لأمه خطة نجا بها من ملاحقة فرعون وزبانيته. وبين سبحانه أنه ألهم أم موسىٰ أن ترضعه ثم تضعه في تابوت ثم تقوم بطرح التابوت في النيل، وبأمر الله وقدرته سوف يلقيه النيل علىٰ الساحل، فيراه جند فرعون فيأخذوه، ثم أخبر سبحانه أنه ألقىٰ علىٰ موسىٰ محبته ليحبه الناس، وأخبر أن تغذيته وتنشئته وتربيته بالحنان والشفقة تتم تحت رعاية الله وعنايته وعينه، والعين هنا معناها: الرعاية والعناية.

[٤٠] ثم بين سبحانه أن من رعايته لموسىٰ أنه جعل أخته تمشي وتتبع أخباره حتىٰ رأته في بيت فرعون، وعرفت أنه ممتنع عن الرضاعة، فقالت لهم: هل أدلكم علىٰ من يكفله ويرضعه لكم؟ فقالوا لها: نعم، فدلتهم علىٰ أمه، فعاد إلىٰ أمه التي فرحت بلقائه، واطمأنت علىٰ سلامته من الغرق والقتل، وذهب عنها الحزن الذي كان بسبب فراقه وَبُعْدِهِ عنها، وهذا تنفيذ لوعد الله؛ حيث قال لها لما أمرها بإلقائه في النيل: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص:٧]، ثم بين سبحانه أن من نعمته علىٰ موسىٰ أن نجّاه من الغم والخوف الذي نزل به بسبب قتل الرجل القبطي الذي استنصر به فقتله عن طريق الخطأ، ثم أخبر سبحانه أنه اختبر موسىٰ بألوان وأنواع من الفتن والمحن؛ حيث خرج خائفًا إلىٰ أهل مدين، فمكث عندهم سنين يعمل كأجير عند ذلك الرجل الصالح، ثم جاء من مدين في الموعد الذي قدره الله لإرساله وحدده لتكليمه؛ حيث كان موافقًا لقدر الله وإرادته.

[٤١] ثم قال تعالىٰ ممتنًا علىٰ موسىٰ: لقد اصطفيتك وأنعمتُ عليك وربَّيْتُك وهيَّأتك واخترتُك لنفسي لتحمل رسالتي. وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾، اصطناع الخيل عند العرب هو تغذيتها وتدريبها علىٰ الكر والفر والاقتحام، وهو هنا بالنسبة لنبي الله موسىٰ إخراجه من بيوت الذل والعبودية؛ لأن بني إسرائيل كانوا خدمًا وعبيدًا عند فرعون وقومه، كما قال قوم فرعون لما جاءهم موسىٰ بالنبوة: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، فنشأة موسىٰ في بيت عز وسيادة يؤهله لمجابهة فرعون وأشكاله؛ لذلك استطاع مجادلة فرعون حين امتن عليه، فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨]؛ فقال له موسىٰ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢]، أي: فما تكون هذه المنة مقابل تعبيدك لبني إسرائيل؛ بل هدده حينما قال موسىٰ لفرعون: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [القصص:٣٧]، وحينما قال فرعون لموسىٰ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:١٠١]، أجابه موسىٰ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:١٠٢].

[٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦] ثم أمر سبحانه موسىٰ أن يذهب هو وأخوه هارون بآيات الله الدالة علىٰ الوحدانية، وعلىٰ الحق وصدق رسالتهما، وأمرهما أن لا يفتُرا أو يضعفا عن ذكر الله. وأمرهما أن يذهبا دُعاةً إلىٰ فرعون؛ فإنه قد طغىٰ وتجاوز حدَّه وافترىٰ. وقال سبحانه لهما: فإذا أتيتماه فقولا له قولًا ليِّنًا سهْلًا مُؤَدَّبًا، لا غلظة فيه ولا فظاظة، لعله بسماع الحق باللين واليُسر يتذكَّر أصله فيرجع عن طغيانه، أو يخشىٰ عقاب الله فينزجر. فقال موسىٰ وهارون: إننا يا ربنا نخشىٰ ألّا يستمع إلىٰ دعوتنا، وأن يبادرنا بالعقوبة والتنكيل؛ وأن يتمرَّد علىٰ الحق. فقال سبحانه مُطَمْئِنًا لهما: لا تخافا، إنني معكما، فأنتما في حفظي، وتحت رعايتي، وأنا أسمع وأرىٰ ما تقولان له، وما يردُّ عليكما.

[٤٧-٤٨] ثم قال جل وعلا لموسىٰ وهارون: اذهبا إلىٰ فرعون ولا تخافا منه، وقولا له: إنا رسولان إليك من ربك حتىٰ يعرف أن الأمر من الله، وأنهما فقط مبلِّغانِ رسالته، وأنهما لا يطلبان شيئًا لنفسيهما؛ ثم قولا له: أطلق سراح بني إسرائيل ولا تعذبهم أو تكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون، وبيِّنا له أن معكما معجزة من الله تدل علىٰ صدق دعوتكما وتشهد أن الله أرسلكما إليه لدعوته وهدايته، وقولا له: اعلم يا فرعون أن السلامة من عذاب الله في الدنيا والآخرة هي لمن اتبع هدىٰ الله، واعلم أنه قد جاءنا وحيٌ من الله أن العذاب والهلاك والخَسَارَ علىٰ من كذَّب بالله وجحد رسالته، وكذب رُسُلَه، وتولَّىٰ عن دينه وشرعه.

[٤٩-٥٠] ولمّا تمت المحاورة سأل فرعون موسىٰ وهارون معاندة وسخرية: من ربكما الذي أرسلكما؟ فقال له موسىٰ: يا فرعون إن ربنا هو الله الذي أعطىٰ خلقه كل ما يحتاجون إليه في معاشهم، ثم هداهم إلىٰ طرق الانتفاع بما أعطاهم.

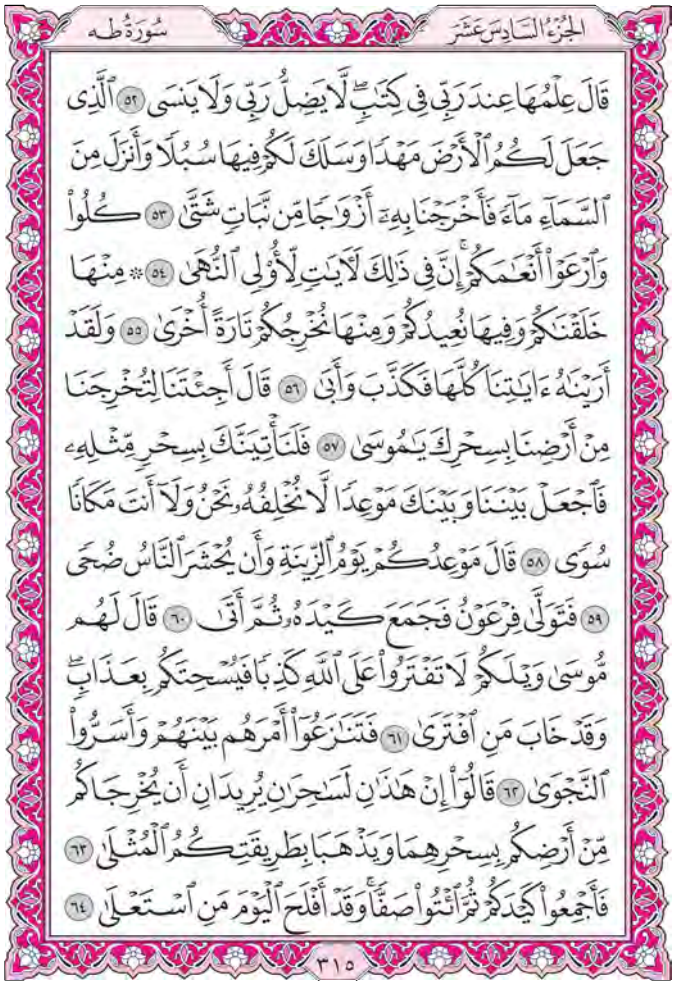

[٥١] ثم سأل فرعون موسىٰ عن الأمم القديمة التي سبقت إلىٰ التكذيب والجحود ما شأنها؟ وغيرها من الأسئلة التي يقصد بها الإفحام والتعجيز.

[٥٢] فقال موسىٰ عليه السلام: اعلم يا فرعون أن عِلْمَ تلك الأمم وعَملُها قد أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وسيجازيهم سبحانه علىٰ أعمالهم، واعلم أن ربي لا يُخطِئ ولا ينسىٰ سبحانه جل في علاه؛ فهو منزه عن النقائص.

[٥٣] واعلم يا فرعون أن الله وحده هو الذي بسط الأرض ومهَّدها وهيأها لتسكنوا وتبنوا وتزرعوا فيها، وجعل لكم فيها طُرُقًا مُمَهَّدةً تسيرون عليها في انتقالكم من مكان لآخر بيسْرٍ وسهولة، وأنزل لكم المطر من السماء، فأنبت لكم به أصنافًا وأنواعًا مختلفة من النباتات.

[٥٤] ثم أمر سبحانه الناس أن يأكلوا من طيبات هذا الرزق، وأن يرعوا أنعامهم وبهائمهم، واعلموا أن ما ذُكر لكم من هذه النعم لآياتٍ واضحاتٍ بيناتٍ علىٰ وحدانية الله جل في علاه، واستحقاقه سبحانه العبادة وحده دون من سواه، وإنما ينتفع بهذه الآيات أصحاب العقول الراجحة والضمائر النيِّرة.

[٥٥] واعلموا أيها الناس أن الله خلقكم من هذه الأرض - وذلك بخلق: أبيكم آدم -، وأنه يعيدكم فيها حينما تُدفَنون فيها، ثم يخرجكم منها مرَّةً أخرىٰ للجزاء والحساب يوم البعث والنشور.

[٥٦] ثم واصل سبحانه الحديث عن قصة فرعون مع موسىٰ؛ فأخبر أن موسىٰ أرىٰ فرعون جميع الآيات الدالة علىٰ وحدانية الله، وعلىٰ صدق رسالته -كالآيات التسع وغيرها-، فكان أنْ كذَّب وجَحَدَ، وأبىٰ أن يستجيب لرُسُل الله عنادًا واستكْبارًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل:١٤].

[٥٧-٥٨] فقال فرعون مهددًا ومتوعدًا موسىٰ: أجئتنا ياموسىٰ بهذا السحر لتخرجنا به من عقيدتنا وديارنا؟. فلنأتينك بسحر مثله؛ فعيِّن لنا موعدًا معلومًا بيننا وبينك نلتقي فيه، ولا يتخلف أحدنا عنه، وليكن لقاؤنا في مكان مستو معتدل يتوسط المدينة؛ حتىٰ يستطيع جميع سكانها الحضور إليه.

[٥٩] فَحَدَّدَ موسىٰ عليه السلام الموعد، وهو يوم الزينة، أي: في يوم عيدهم السنوي في أول النهار حين تشرق الشمس.

[٦٠] وبعد أن استمع فرعون إلىٰ الحق الذي جاء به موسىٰ، وحدد موعد ومكان المناظرة؛ كلف وزيره وشرطته ليجمعوا كبار سحرته الموجودين في مصر كلها، وأخبرهم بموعد اللقاء بينه وبين موسىٰ ليناظروا موسىٰ عليه السلام.

[٦١] ولما رأىٰ موسىٰ السحرة لم تغب عنه مهمته وهي الدعوة للهدىٰ، فقال مخاطبًا لهم: ويلكم لا تختلقوا علىٰ الله الكذب فيهلككم ويبيدكم بعذاب من عنده، واعلموا أيها السحرة أن كل من افترىٰ وقال علىٰ الله قولًا لا حقيقة له فإنه قد خاب وخسر خسرانًا كبيرًا.

[٦٢-٦٣] ولما سمع السحرة من موسىٰ هذه النصيحة تحادثوا بينهم سرًّا خوفًا، ثم استقر أمرهم علىٰ إتمام المناظرة. وقال بعضهم لبعض: اعلموا أن موسىٰ وهارون ساحران يريدان أن يغلباكم بسحرهما، ويخرجاكم من بلادكم، ويظهرا عليكم، ويذهبا بطريقة سحركم العظيمة التي بذلتم أوقاتكم حتىٰ تصلوا فيها إلىٰ ما وصلتم؛ فإنهما إن فعلا ذلك وتمَّ لهما مرادهما؛ سيكون لهما الشرف والسيادة والغَلَبَة، وسيتبعهما بنو إسرائيل.

[٦٤] ثم قالوا لبعضهم البعض أيضًا: فلأجل ذلك أجمعوا أمركم وعزمكم واتَّحِدوا، وكونوا علىٰ قلب رجل واحد، ثم ائتوا صفًّا واحدًا مُتراصًّا؛ فإن ذلك أهْيبُ لكم في قلوب الناس، ثم ألقوا سحركم وكيدكم دفعة واحدة يساعد بعضكم بعضًا؛ فتسلبوا قلوب الحاضرين، واعلموا أن الفلاح والفوز سيكون من نصيب من غلب وظفر.

[٦٥-٦٦] ثم قال السحرة لموسىٰ بكبر وغطرسة الواثق من هزيمته لعدوِّه - يُخَيِّرونَه -: إما أن تبدأ فتُلقي عصاك، وإما أن نبدأ نحْن بالإلقاء. فأجابهم موسىٰ: بل ألقوا أنتم أوَّلًا، فاستجابوا، وألقوا حبالهم وعصيهم، وخُيِّل إلىٰ موسىٰ والمشاهدين من شدَّة سحرهم؛ أنها حياتٌ تتحرك وتضطرب.

[٦٧-٦٨-٦٩] فشعر موسىٰ بخوفٍ ورهبةٍ - علىٰ ما تقتضيه الطبيعة البشريَّة -. فثبَّتَه جلَّ وعلا وطمأنهُ قائلًا له: لا تخفْ، إنك ستعلو عليهم، وستغلِبُهم وتقهرهم. ثم أمره سبحانه أن يُلقيَ عصاه التي في يمينه لكي تأكل وتبتلع جميع ما صنعوه من الحبالِ والعِصِيِّ؛ وأخبره أن الذي صنعوه وكادوه ومكروه إنما هو مكْرُ وخِدعةُ ساحرٍ؛ ومعلوم أن الساحر لا يفوز ولا يغلبُ ولا ينفعه سحره أينما كان، وحيثما حلّ، ولن تكون له العاقبة أبدًا.

وقد أنكر المعتزلة أن للسحر حقيقة، والجمهور علىٰ أنه نوعان: قسم تخييل، وقسم حقيقي يضر وربما أمات. وقال أهل العلم: إن الساحر إن تاب قبل أن يُقبض عليه متلبسًا تُقبل توبته، وأما إذا قُبض عليه متلبسًا فلا تُقبل توبته، ويُقتل حدًّا.

[٧٠] فلمّا التهمت عصىٰ موسىٰ وابتلعت ما ألقاه سحرة فرعون؛ علموا أن ما جاء به موسىٰ ليس بسحرٍ، إنما هو معجزة وآية من الله تدل علىٰ صدق رسالته ونبوّته، فخرّوا سجّدًا لله قائلين: آمنا وصدقنا بالله وحده لا شريك له -رب هارون وموسىٰ-، وقدموا ذكر هارون لأنه أكبر سنًّا من موسىٰ عليهما السلام.

[٧١] فقال لهم فرعون: آمنتم وصدقتم بموسىٰ مباشرةً دون إذنٍ مني؟! ثمَّ تمادىٰ في عناده وطغيانه فقال للسحرة: إن موسىٰ هو إمامكم وكبيركم الذي علّمكم السحر، وتواطأتم معه لتخرجونا من ديننا، ثم توعَّدهم قائلًا: لأعذبنكم عذابًا شديدًا ولأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وذلك بقطع اليد اليمنىٰ والرجل اليسرىٰ والعكس، ولأصلبنكم بربطكم علىٰ أخشاب النخل، ولتعلمن أيُّنا أشدُّ عذابًا وأبقىٰ -يعني بزعمه: هو أم رب موسىٰ- تعالىٰ الله عمّا يقول علوًّا كبيرًا.

[٧٢] فردَّ السحرة علىٰ فرعون قائلين: لن نختارك يا فرعون علىٰ هذه الدلائل الواضحة التي رأيناها، ولن نختارك علىٰ الذي خلقنا وأوجدنا، وهدانا إليه بهذه المعجزة التي لا يمكن أن تكون إلّا من الله، والتي التهمت كل ما أحضرنا من السحر، فاعمل ما شئت بنا، فإنما سلطانك وقوتك في هذه الحياة الدنيا فقط، وما ستفعله من تعذيبنا سينتهي بانتهاء حياتنا في هذه الدنيا.

وهكذا أصبح السحرة من أفضل الشهداء بعد أن كانوا من ألد الأعداء، وهكذا تكون المناظرات أمام الجماهير كلٌّ يحاول أن يكون هو الغالب بصرف النظر عن المُحق؛ لكن بالنسبة لهؤلاء السحرة بُهتوا بمعجزة موسىٰ، وتأكدوا أنها ربانية، وأنه علىٰ حق؛ فلم يملكوا أنفسهم إلّا أن يسجدوا لله بفضل خبرتهم وعلمهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨]، ولم يخص علماء الدين، ولذا فقد أُسقط فرعون في يده؛ لأن السحرة الذين جمعهم لتكذيب موسىٰ سجدوا لله، وصاروا ضده؛ فتوعدهم بأشدّ العقوبات التي نهايتها موتهم صبرًا، ولكن الإيمان إذا خامر القلوب تهون بسببه الشدائد مهما كانت.

[٧٣] ثم قال السحرة: واعلم يا فرعون أنا آمنا بربنا خالقنا ورازقنا ومدبرنا، وصدَّقنا برسوله ليغفر لنا ما مضىٰ من الكفر والتكذيب والعناد والمعاصي، وليغفر لنا ما أكرهتنا وأجبرْتَنا عليه من السحر لمعاندة الحق ومعارضته، والله خيرٌ لنا منك، وممَّا وعدتنا به من دنيا زائلة، وهو سبحانه أبقىٰ لنا يتولَّىٰ أمْرَنا.

[٧٤-٧٥-٧٦] ثم أخبر جل وعلا أن من يأتيه يوم القيامة مُجرمًا -وأعظم الجرم: هو الكفر بالله، واتخاذ شريك معه-؛ فإن له عذابًا شديدًا في نار جهنم، لا يموت فيها فيستريح من عذابها، ولا يحيا حياةً يسعدُ بها. ثم أخبر أن من يأتيه يوم القيامة وقد آمن به ووحده، وصدّق برُسُلِه، وعمل الصالحات الواجبة والمستحبَّة؛ فأولئك قد أعدَّ الله لهم الدرجات العاليات، والمنازل الرفيعات في جناتٍ تجري الأنهار من تحت أشجارها وقصورها، ماكثين فيها أبدًا، وتلك الجنات جعلها الله جزاءً لمن زكّىٰ نفسه وطهَّرها من خبث الشرك والمعاصي.

[٧٧] ثم أوحىٰ جل وعلا لنبيه موسىٰ بالخروج من مصر بقومه ليلًا متجهًا بهم إلىٰ فلسطين عن طريق البحر الأحمر وسيناء، وأخبره أن فرعون وجنوده سوف يطاردونهم، وكان هذا بعد أن استفرغ موسىٰ جهده وعَرَض عليهم الآيات التسع، فقال له فرعون وأعوانه: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٣٢]، أي: بعد أن أنذر وأعذر خرج بهم ليلًا كما أمره الله، ثم أمره إذا وصل ببني إسرائيل البحر الأحمر أن يضرب بعصاه البحر كي يتخذ لهم في البحر طريقًا يابسًا، وأوحىٰ إليه أن لا يخاف من فرعون وجنوده أن يدركوهم، ولا يخشىٰ هو وقومه من الغرق في البحر.

[٧٨] ولما علم فرعون بخروج موسىٰ ببني إسرائيل اشتد حَنَقُه فأرسل في قرىٰ مصر وأريافها من يحشر الجنود لملاحقته إلىٰ أن وصلوا ساحل البحر الأحمر، وهناك وقعت المعجزة الكبرىٰ وهي تجمد البحر حتىٰ أصبح يابسًا كسهل الأرض؛ بعد أن ضربه موسىٰ بعصاه، فعبره موسىٰ وقومه بسلام؛ ولكن أغرىٰ الحقد فرعون فأتبعه؛ فلمّا تكامل هو وجنوده فوق سطح البحر انطبق عليهم الماء فغرقوا وهلكوا جميعًا بأمر الله تعالىٰ.

[٧٩] ثم أخبر جل وعلا أن فرعون أضل قومه عن الحق بتزيين الكفر والتكذيب لهم، ولم يسلك بهم طريق الهداية التي توصلهم إلىٰ مرضاة الله وجناته. وقوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾، هي تكذيب لقول فرعون: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

[٨٠] ثم امتن جل وعلا علىٰ بني إسرائيل بأن أنجاهم من استعباد فرعون لهم، ومن قتل أبنائهم وتكليفهم بالأعمال الشاقة، ومن الغرق في البحر، وأنه واعد موسىٰ أن يأتي جانب الطور الأيمن لإنزال التوراة عليه، وأنه أنزل عليهم بفضله ورحمته المن الذي هو طعام يشبه العسل في طعمه، والسلوىٰ وهو طير يشبه السُّمَانَىٰ.

[٨١] ثم قال لهم جل وعلا مُمْتَنًّا عليهم: كلوا ما لذَّ لكم وطاب من هذه الأطعمة، واشكروا الله علىٰ ما أنعم عليكم به؛ بأن لا تتجاوزوا حدَّكم فتُسْرِفوا، ويبغي بعضكم علىٰ بعض، وتستعملوا هذه النعم فيما يغضب الله جل في علاه؛ فإنكم إن فعلتم ذلك؛ حلَّ عليكم غضب الله، ونزل بكم سَخَطُه، ومن حلَّ عليه غضب الله فقد خاب وهَلَكَ وتردَّىٰ، وخَسِرَ خُسْرانًا مبينًا.

[٨٢] ثم أخبر سبحانه أن باب التوبة مفتوحٌ لمن تاب، لا يُغلَق في وجه من أناب، وأخبر أنه كَثيرُ المغفرة لمن تاب من الكفر والشرك إلىٰ الإسلام والتوحيد، ومن البدعة إلىٰ السنة، ومن المعاصي إلىٰ الطاعة، وكثير المغفرة لمن آمن وصدَّق بالله، وعمل الصالحات، ثم استقام علىٰ أمر الله وسلك طريقه المستقيم، وثبت علىٰ دينه القويم.

[٨٣-٨٤] وبعد أن اختار موسىٰ سبعين رجلًا من قومه وذهب بهم لميقات ربه، استبطأ سيرهم فسار عليه السلام مسرعًا إلىٰ الميقات، فخاطبه جل وعلا فقال له: ما الذي جعلك تستعجل إلينا، وتترك قومك الذين خرجتَ بهم إلينا؟! فقال موسىٰ: يارب إنهم خلفي

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن
طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۖ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ
أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾

سوف يلحقون بي، ولكني أسرعت شوقًا إلىٰ لقائك وطمعًا في زيادة رضاك عني.

[٨٥] وبعد أن تمت المكالمة والمحاورة بين الله عز وجل وموسىٰ واستلامه الألواح أخبره جل وعلا بأن قومه قد ضلوا بعبادة العجل بعد فراقه لهم، والذي كان سببًا في إضلالهم هو السامري الذي صنع لهم العجل مما جمع منهم من حلي من ذهب ثم دعاهم إلىٰ عبادة العجل فأطاعوه.

[٨٦] فرجع موسىٰ وقد امتلأ غيْظًا وحنقًا علىٰ قومه؛ لفعلتهم الشنيعة، فقال لهم علىٰ سبيل التوبيخ: ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا بأن ينزل عليكم كتابًا من عنده وهو التوراة؟! هل طالت عليكم المدّة فنسيتم؟! أم تجاوزتم أمر الله وتعدَّيْتم حدوده فأردتم بذلك أن يُنزل عليكم عذابَه ويحلَّ عليكم سخطُه! فأخلفتم ما تواعدنا عليه من توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده دون من سواه!.

[٨٧] فقال بنو إسرائيل لنبيهم موسىٰ معتذرين له بأعذار واهية: ما أخلفنا موعدك بعبادة العجل بإرادتنا، ولكنا حملنا أثقالًا من حلي قوم فرعون الذي استعارته نساء بني إسرائيل من نساء الأقباط قبل خروجهم من مصر، فأمرنا السامري بأن نلقيها في حفرة فيها نار لصوغها وحفظها في قالب واحد، ثم ألقىٰ عليها السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل عليه السلام.

[٨٨] فكانت النتيجة أن صنع لهم السامري من هذا الذهب عجلًا يدخله الهواء فيحدث له صوتًا كصوت البقر، ثم قال لبني إسرائيل: هذا إلهكم وإله موسىٰ الذي ذهب يبحث عنه حيث نسيه هنا.

[٨٩] ثم قال سبحانه وتعالىٰ عن هؤلاء الجهلة علىٰ سبيل التوبيخ: أفلا يرون أن هذا الذي يزعمون أنه إله: لا يكلمهم، ولا يرد عليهم إذا كلموه؟! ولا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا؟! فكيف يتخذونه إلهًا من دون الله يصرفون له العبادة؟!

[٩٠] ثم أخبر جل وعلا أن هارون حذَّرهم وأنذرهم في بداية منكَرِهم هذا، وأخبرهم أن هذا اختبارٌ وامتحانٌ من الله لهم، ليُعْلَم المؤمن من الكافر، وقال لهم: ياقوم إن ربكم وإلهكم ومعبودكم بحقٍّ هو الرحمن، فاتبعوني فيما آمركم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله، وأطيعوا أمري في ذلك، فأنا لكم ناصحٌ أمين

[٩١] فأجابوه قائلين: لن نترك ياهارون عبادة هذا العجل حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ.

[٩٢] ولما رجع موسىٰ ورأىٰ بني إسرائيل وهم عاكفون علىٰ عبادة العجل اشتد غضبه ورمىٰ الألواح التي كانت بيده علىٰ الارض، وأخذ برأس ولحية أخيه هارون يسحبه ويبكته، وقال له علىٰ سبيل التوبيخ والتهديد والعتاب: ياهرون ما الذي منعك أن تقاومهم حين رأيت ضلالهم وشركهم في عبادة العجل.

[٩٣] ثم قال له أيضًا: وما الذي منعك أن تتبع أمري ووصيتي؟!، هل عصيتَ أمري في استخلافي إياك عليهم؟!

[٩٤] فأجابه هارون مرقِّقًا له فقال: ياابن أمي لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي تعنيفًا ومعاقبةً لي، فإني خشيت إنْ أنا تركتهم ولحقتُ بك أن يتبعني بعضهم ويبقىٰ أكثرهم فأكون بذلك مفرِّطًا فيما أمرتني به من لزومي إياهم ورعايتهم، وخلافتي فيهم.

[٩٥] وبعد أن استغفر موسىٰ لنفسه وأخيه وهدأت نفسه، التفت لرأس البلاء، وهو السامري، فقال له: ما شأنك، وما أمرك ياسامري؟ وما الذي حملك علىٰ هذا الفعل الشنيع؟!.

[٩٦] فقال السامري: لقد علمت ما لم يعلمه غيري حيث رأيت الحصان الذي قاد بني إسرائيل حتىٰ خروج بني إسرائيل من البحر وغرق فرعون وجنوده، فأخذت حفنة من تراب أثر حافره ثم ألقيته علىٰ الحلي المذاب الذي صنعت منه العجل، فصار له كما ترىٰ صوت كصوت البقر، وهذا الذي حسنته لي نفسي.

[٩٧] فقال موسىٰ للسامري: اذهب فإن لك في حياتك أن تعيش منبوذًا، وكلما اقترب منك أحد قلت له: لا أمسُّ أحدًا ولا أحد يمسَّني، ثم اعلم ياسامري أن لك موعدًا يوم القيامة ستعاقب فيه عقابًا أليمًا شديدًا تستحقه بسبب ضلالك وإضلالك الناس، ثم أمر موسىٰ السامري وجميع الناس أن ينظروا كيف سنصنع بالإله المزعوم المصنوع من الذهب الذي أقمتم علىٰ عبادته، فقام موسىٰ بإحراقه وجعله كالتراب ثم نثره في البحر حتىٰ لا يبقىٰ منه عين ولا أثر.

[٩٨] واعلموا أيها الناس أنما إلهكم الحق هو الله، الذي لا معبود بحق إلّا هو، ولا خالق غيرَه ولا ربَّ سواه، وسع علمه كل شيء، فلا يعزب ولا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالىٰ.

[٩٩] وكما قصصنا عليك يانبي الله من أخبار الأمم السابقة نقص عليك قصة موسىٰ وهارون مع فرعون وقومه، وأنزلنا عليك هذا الكتاب الشريف الذي يحوي أخبار الأمم السابقة ويوضح الهدىٰ والاعتبار لِمَن يريد الخير والصلاح.

[١٠٠] واعلم أيها المعرض الجاحد أن من صد عن هذا القرآن العظيم الجامع لوجوه الخير والسعادة والنجاة ولم يؤمن به فإنه يحمل يوم القيامة إثمًا عظيمًا.

[١٠١] ثم اعلم أيضًا أن من أعرض عن كتاب الله سوف يمكث في العذاب في جنهم أبد الآبدين، بسب تلك الأوزار، وبئس ذلك الحِملُ الذي تحمَّلوه. نسأل الله السلامة والعافية.

[١٠٢] ثم أخبر سبحانه أن ذلك اليوم هو يوم القيامة، الذي يُنفخُ فيه في الصور؛ فيخرج الناس إلىٰ أرض المحشر من القبور، وأن المجرمين يُحشرون زرق الألوان من الخوف وشدَّة الهول.

[١٠٣] وأخبر سبحانه أنهم يتناجوْن ويتهامسون فيما بينهم، فيقول بعضهم لبعضٍ- استقْصارًا لمدة الدنيا-: ما لبثتم في هذه الدنيا إلّا عشرة أيام فقط.

[١٠٤] واعلموا أن الله وحده هو الذي يعلم بما يتناجون به، وأنه سبحانه يسمع همسهم؛ حيث يقول أعدلهم رأيًا، وأكملهم وأقربهم إلىٰ التقدير: ما مكثتم في الدنيا ولا عمّرتم فيها إلّا يومًا واحدًا، وهذا استقصار لزمن الدنيا، وأنهم ينسون تلك الأعمار الطويلة التي عاشوها في حياتهم الدنيا، وهذا كله بسبب ما يرون في يوم القيامة، يوم البعث والنشور من الشدائد والأهوال، وأنواع الفزع والعذاب؛ فيندمون حينها أشدّ ما يكون الندم، ولات حين مندم.

[١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧] ثم أخبر جل في علاه أن الناس يسألون النبي ﷺ عن الجبال، فأمره أن يقول لهم: اعلموا أن هذه الجبال سوف ينسفها ربي ويقلعها عن أماكنها، ثم يجعلها هباءً منثورًا. وتصبح الأرض بعدها أرضًا ملساء، لا نبات فيها ولا بناء. فينظر إليها الناظر فلا يرىٰ فيها اعوجاجًا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا.

[١٠٨] ثم أخبر أنهم في ذلك اليوم يتبعون الداعي الذي يدعو الخلائقَ لأرض المحشر؛ فيجيبونه منقادين متّبعين صوتَه لا يسع أحدهم أن يتأخر عن إجابة دعوته، ولا يسع أحدهم أن يتأخر عن تلبية النداء، وفي ذلك اليوم تسكن وتخفت وتذل وتخضع الأصوات للرحمن جل في علاه، فلا تسمع إلّا صوْتًا خفيًّا لا يكاد يظهر.

[١٠٩] وفي ذلك اليوم العظيم لا تنفع شفاعة أحدٍ لأحد، إلّا شفاعة من أذن له الرحمن، ورضي شفاعته، ورضي عن المشفوع له أيضًا، ولا يكون ذلك إلّا لأهل التوحيد، أهل: لا إله إلّا الله.

[١١٠] ثم أخبر جل في علاه أنه يعلم ما بين أيدي الناس في ذلك الموقف، وما سينتهي به كلّ واحد من أهل المحشر إما إلىٰ جنّة، وإما إلىٰ نار، ويعلمُ سبحانه ما خلّفه كل واحد منهم في الحياة الدنيا، وما قدَّمت يداه، فيُجازي كلًّا بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فإن علمه سبحانه أحاط بهم من كل وجه، والخلقُ لا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء سبحانه.

[١١١-١١٢] وفي ذلك اليوم العظيم تتجه الوجوه وتقصد وتخضع لمالكها الحي القيوم، وحينئذ يخيب من حمل شركًا وآثامًا. وأما من عمل الصالحات وهو مؤمن بالله فإنه في ذلك اليوم لا يخاف أن يُجحد ثوابه أو ينقص أجره.

[١١٣] ثم أخبر جل وعلا أنه أنزل هذا القرآن باللسان العربي ليفهموه، ويتعظوا بما ضرب فيه من الأمثال، وما بيَّن فيه من أنواع الوعيد؛ لعلهم يجعلون بينهم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، ولعلهم يتذكرون ويتعظون.

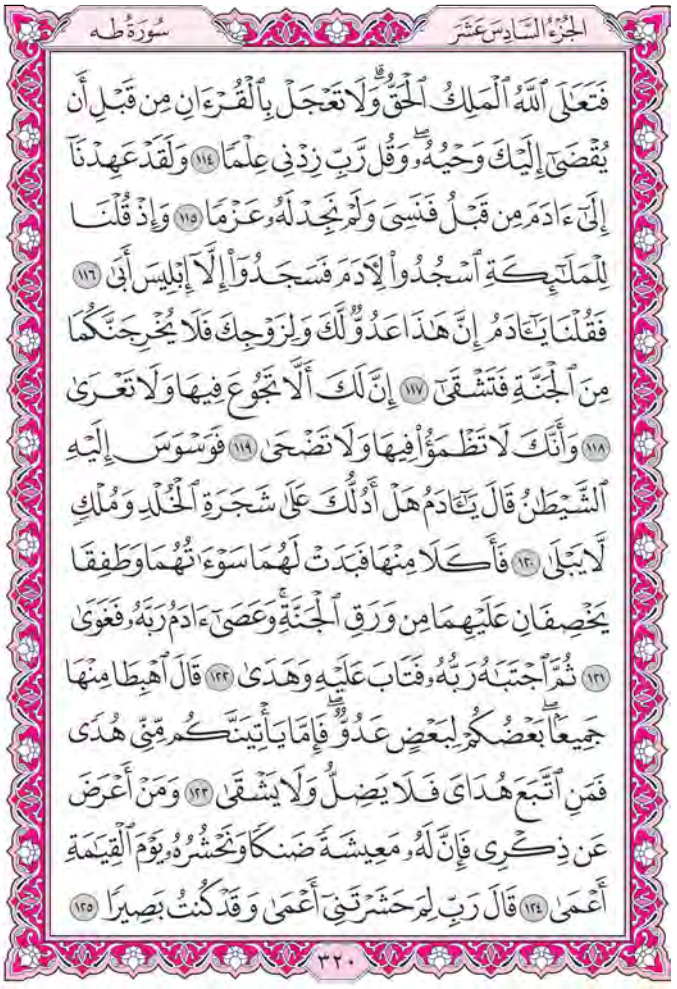

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ
﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ
﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

[١١٤] ثم أثنىٰ جل في علاه علىٰ ذاته الكريمة بما يستحق؛ فأخبر أنه تنزّه وتقدّس وارتفع عن أي نقصٍ وعيب بوجه من الوجوه، وأنه سبحانه هو الملك الذي قهر كلَّ مخلوقاته، وأنه هو الحق، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلا، ثم أرشد جل وعلا نبيه ﷺ أن لا يتعجل في تلاوة القرآن مع جبريل؛ وأن يستمع للتلاوة حتىٰ يفرغ جبريل من قراءته، وقد وعده سبحانه أن يجعل القرآن محفوظًا في صدره، وقد كان ﷺ من حرصه إذا تلىٰ جبريل القرآن سارع ﷺ بالتلاوة معه خشية أن ينساه، ثم أمره عز وجل أن يدعو ربه قائلًا: اللهم يارب إني أسألك الزيادة من العلم النافع.

[١١٥] ثم أخبر جل وعلا أنه وصَّا أبي البشرية آدم أن لا يأكل من شجرة معينة في الجنة، ولكنه نسي الوصية ونسي الوفاء بالعهد، وغلبه الطمع في الخلود والأقسام التي أدلىٰ بها له الخبيث إبليس، وأخبر سبحانه أن آدم لم يكن له عزيمة وصبر علىٰ امتثال الأمر، فلذلك خالف أمر الله وأكل من الشجرة.

[١١٦] وتذكر يانبي الله يوم أن أمرنا الملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام سجود تحية وإجلال بعد أن أتممنا خلقه؛ فسجد جميع الملائكة إلّا إبليس أبىٰ واستكبر وعاند وكان من الكافرين الجاحدين.

[١١٧-١١٨-١١٩] ثم قال جل وعلا محذِّرًا آدم من وسوسة إبليس: اعلم يا آدم أن إبليس عدو لك ولزوجك، فاحذر من طاعته والاستجابة له؛ حتىٰ لا يكون سببًا في إخراجكما من الجنة ونعيمها، فتشقىٰ وتتعب وتنصب في الدنيا، وذلك ببذل أسباب طلب المعاش فيها. فأنت هنا في الجنة مكفيٌّ فيأتيك طعامك علىٰ الدوام فلا تجوع فيها أبدًا. وأنت فيها مكسيٌّ فلا تعرىٰ أبدًا، وتشرب فيها الماء العذْب، فلا يصيبك العطش، ولك فيها الظل الظليل فلا يؤذيك حر الشمس.

[١٢٠] ولكن إبليس وسوس لآدم وزين له الأكل من الشجرة التي نُهِيَ عنها، فقال له كاذبًا: يا آدم هل أدلك علىٰ شجرة إذا أكلت منها، فإنك تُخلَّد في الجنة فلا تموت أبدًا، ويكون لك مُلكٌ لا يزول أبدًا، وأقسم لهما أنه صادق فيما يقول.

[١٢١] ثم إن آدم وحواء أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها بعد تزيين الشيطان لهما؛ فكان نتيجة ذلك انكشاف عوراتهما التي كانت مستورة عن أعينهما؛ لأن هذه الشجرة التي أكلا منها كانت مثل أشجار الدنيا، أي: لها فضلات تخرج من القبل والدبر وهذه الفضلات لها رائحة كريهة؛ لذلك سميت سوأة، وقبل أن يأكلا من الشجرة لم تكن سوأة،؛ لأن أشجار الجنة ليس لها فضلات البتة، ولما انكشفت عوراتهما قاما بقطع أشجار الجنة لتغطية وستر ما انكشف من عوراتهما، وكان ذلك بسبب مخالفة آدم لربه في اجتناب الأكل من الشجرة، ولذا ضلَّ آدم عن هدفه الذي كان يريده وهو الخلود في الجنة.

[١٢٢] ولكن الله لطيف عالم بالضعف البشري؛ فبعد عتابه وتذكيره بتحذيره من إبليس وعداوته، اجتباه وتاب عليه وهداه بعد أن اعترفا واعتذرا بقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

[١٢٣] ثم قال جل وعلا لآدم وحواء وإبليس: اهبطا جميعًا من الجنة إلىٰ الأرض، وسوف يكون بعضكم لبعض عدو، وهذا ينطبق عليهم وعلىٰ الأجيال المتلاحقة من ذريتهم، ثم كرمًا منه عز وجل ولطفًا بعباده وعد بأن يرسل الهداة من الرسل ومعهم الكتب التي فيها الهدىٰ والرشاد لهم، وأخبر سبحانه أن من اتبع الرسل وعمل بما اشتملت عليه الكتب فإنه لن يضل في الدنيا، ولن يشقىٰ بعقاب الله في الآخرة.

[١٢٤] ثم أخبر جل في علاه أن من أعرض عن كتابه والعمل بما فيه، وعن دينه، وعن توحيده، واتباع رسوله ﷺ؛ فإن له في الحياة الدنيا وفي قبره عيْشًا ضيِّقًا نكِدًا، ثم يوم القيامة يُحشَر أعمىٰ البصر والبصيرة.

[١٢٥] فيقول هذا المُعرِض متضجّرًا متألِّمًا: رب لم حشرتني علىٰ هذه الحالة الشنيعة فاقدًا لبصري، وقد كنت مُبصِرًا في الدنيا.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾
فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ
لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم
بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ
مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

[١٢٦] فأجاب جل وعلا هذا المعرض قائلًا: نعم قد كنتَ في الدنيا بصيرًا؛ ولكن كانت تأتيك آياتنا فتعرض وتتعامىٰ عنها ولا تلتفت إليها، فكذلك اليوم أحشرك أعمىٰ وتُترَك علىٰ هذه الحالة في العذاب والشقاء، مهملًا لا يأبَه بك أحد، ولا يُهتَمُّ لأمرك، وهذا الجزاء لك من جنس ما عَمِلَتْ وَقَدَّمَتْ يداك.

[١٢٧] ثم أخبر سبحانه أنه بمثل هذا الجزاء والخزي نجزي من أسرف علىٰ نفسه في معصية الله، وجاوَزَ حدوده، ولم يصدِّق بالله وآياته الدالة علىٰ وحدانيته، فيكون له الضنك والغم والضيق في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ وأكثر ألَمًا، لكونه لا ينقطع ولا ينتهي، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾: يعم كل المسرفين.

[١٢٨] ثم قال سبحانه علىٰ سبيل التوبيخ: أفلم يتبين لهؤلاء المكذبين المعرضين الذين لم يؤمنوا بآيات الله ما حلَّ ونزل من الهلاك بالأمم السابقة؟! وهم يرون آثارهم، ويمْشون في ديارهم التي عُذِّبوا وأُهلِكوا فيها؟! فما حلَّ الذي حلَّ بهم إلّا بسبب تكذيبهم رسلهم، وإعراضهم عن آيات ربهم، واعلموا أن في ذلك لآيات بيِّناتٍ واضحاتٍ لأصحاب العقول الراجحة والفطر السليمة.

[١٢٩] ثم بين سبحانه وتعالىٰ أنه لولا وعد سبق من ربك يانبي الله بإمهال هؤلاء المكذبين وتأخيرهم؛ لاستأصلهم العذاب كما استأصل من قبلَهم، ولكان العذاب لازمًا لهم، فإنهم مستحقون العذاب بتكذيبهم، ولكن الأجل المسمّىٰ الذي حدَّده الله، هو الذي أخَّر عنهم العذاب.

[١٣٠] ثم أرشد سبحانه نبيه ﷺ أن يصبر علىٰ إمهالهم علَّهم أن يتوبوا ويُؤمِنوا، وأن يصبر علىٰ ما يقولون افتراءً عليه واتِّهامًا له أنه ساحر وكاذب وشاعر، ثم أمره أن يستعين في صبره بالصلاة والتسبيح بحمد ربه في هذه الأوقات الفاضلة، قبل طلوع الشمس فجْرًا، وقبل غروبها عصْرًا، ومن آناء الليل، أي: ساعات الليل عِشاءً، ومن أطراف النهار ظهْرًا ومغرِبًا، لعلَّه يرضىٰ بثواب هذه الأعمال، ويطمئنَّ قلبه، وتقرَّ عينُه.

[١٣١] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن لا ينظر علىٰ سبيل الإعجاب لأصناف النعيم الذي متع الله به هؤلاء الأغنياء وغيرهم من أهل الدنيا؛ فما هو إلا اختبار لهم في الحياة الدنيا، واعلم يانبي الله أن رزق الله لك في الدنيا بالتوحيد والإيمان، وفي الآخرة بالرضا والجنان، والنظر إلىٰ وجه الرحيم الرحمن المنَّان؛ خير مما فيه أهل الدنيا من متع زائلة، وأبقىٰ وأدوم لأنه لا ينقطع ولا يزول.

[١٣٢] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يحث أهله علىٰ الصلاة وأن يلزمهم بها، ويتابعهم في أدائها، وأن يصبر علىٰ أمرهم بها صبرًا جميلًا، وأن لا ينشغل عنها، واعلم يانبي الله أن الله لن يسألك مالًا، ولن يطلب منك أن ترزق نفسك وأهلك، فلا تجعل الرزق أكبر همك؛ فإن الله تكفَّل لك ولمن التزم بدعوتك بالرزق، واعلم أن العاقبة المحمودة الممدوحة في الدنيا والآخرة تكون للذي جعل بينه وبين عذاب الله وقاية ففَعَلَ أوامره، واجتنب نواهيه.

[١٣٣] ثم أخبر جل وعلا أن قريشًا قالوا للنبي ﷺ: هلَّا تأتينا يامحمد بآية مما اقترحناه عليك تدل علىٰ صدقك، كتفجير الأنهار حول مكة، وكنزول الملائكة معك، أو تأتينا بآية تشبه الآيات التي جاء بها الأنبياء السابقون: كعصا موسىٰ وناقة صالح، فرد الله عليهم مبكتًا ولائمًا: ألم يعلم هؤلاء بأننا قدمنا لهم آية هي من أعظم الآيات، ومعجزة من أعظم المعجزات، وهو هذا القرآن العظيم المصدِّق لما جاء في الكتب السابقة من الحق؟.

[١٣٤] ثم بين سبحانه أنه لو أهلك قومه ﷺ قبل أن يبعثه إليهم، لقالوا محتجين: ربنا لو أرسلت إلينا رسولًا يبين لنا الإيمان والتوحيد؛ لصدقناه وآمنا به، واتبعنا آياتك التي يأتي بها هذا الرسول من قبل أن نُذلَّ بهذه العقوبة، ونُخزىٰ هذا الخزي في نار جهنم، فها قد جاءكم رسولٌ من عندنا، فليس للناس علىٰ الله حجةٌ بعد الرسل.

[١٣٥] فقال بعض المشركين: سوف نتربص بمحمد حتىٰ يهلك ثم تذهب دعوته معه، فأمره جل وعلا أن يقول: كل منا متربص بالآخر حتىٰ يأتي الله بأمره، فانتظروا فستعلمون بعد زمن ليس بالبعيد من هم أصحاب الطريق المستقيم، ومن هم المهتدون للحق والمُجْتَنِبون للضلالة نحن أم أنتم؟

وهذه الآية تحمل تهديدًا للكفار وتبين أن عاقبتهم سيئة.